



أمام واشنطن فرصة لن تكرر، من أجل صدقيتها، لتعلن شيئاً مما تعرفه ومما هو مؤكّد عن دور النظامين السوري والإيراني في نشأة تنظيم «داعش» وتسمينه واجتذابه إلى سورية وتوظيفه في إفساد انتفاضة الشعب السوري ومن ثم استخدامه مع «جبهة النصرة»، وهي فرع انشقّ «داعش» عنه، لطرح المسألة السورية وكأنّ النظام كان راعياً صالحًا ووجد نفسه بغتةً في مواجهة مع مجموعات متطرفة همجية تسعى إلى تحطيم النموذج الذي بناه للرقي والاعتدال والتقديم.

ولتخلّ واشنطن عن أسلوب البرقيات الذي دأبت عليه لთقول بوضوح تام لماذا تعتبر أنّ بشار الأسد «لا يمكن أن يكون جزءاً من أي حل» ولماذا «لن يكون له دور» في مستقبل سورية.

وإذا لم تفعل فإنها ستبقى متهمة بالمشاركة في ظلم الشعب السوري إسوة بمشاركتها المؤثرة في ظلم الشعب الفلسطيني، ومتهمة بالخضوع لابتزاز إيران وإخفاء الحقائق لحماية صفقات ومصالح متوقعة معها، بل ستتأكد اتهامات أبواق طهران لها بالكذب والمناورة وبأنها هي التي «ترعى التكفيريين»، والدليل أنها استهلكت عاماً ونصف العام في تمكين «داعش» من التوسيع إلى حدّ أن فرنسا تتقارباليوم مع روسيا لأنها تريد حرباً «جدية» على «داعش».

وأمام روسيا حالياً فرصة لن تكرر لتظهير الصورة التي تريد ترسيختها لدى شعوب المنطقة، وإثبات أنها فعلاً دولة كبرى ذات قيم وليس «دولة مافيات» كما يُنظر إليها، وأنها تريد حفاً - كما تقول - تصحيح النظام العالمي وتنظيفه من الأوبئة والأمراض التي زرعتها فيه سياسات الولايات المتحدة وأخطاؤها.

ولكن، كيف لها أن تفعل ذلك، وهي تعلم، مثل أميركا، ظروف نشأة «داعش» وتوحّشه حتى صار تهديداً للسلم العالمي، وكيف تطالب بإشراك نظام الأسد وهي تعلم، مثل أميركا، بأنه وحليفه الإيراني استدعياها لمساعدتها - بإسم محاربة

الإرهابـ.ـ بعـدما فـشـلا في إخـضـاع سـورـيـة والـاستـيلـاء عـلـيـها خـلـافـاً لـإرـادـة شـعـبـهاـ.ـ واستـطـراـداً،ـ كـيفـ تكون رـوسـيا دـولـةـ كـبـرىـ إـذـاـ كانتـ مـهـمـتهاـ فيـ سـورـيـةـ مـقـيـدةـ بـشـروـطـ نـظـامـ منـبـوذـ يـسـخـرـهاـ فيـ تـصـفـيـةـ مـعـارـضـيهـ وـتـوفـيرـ حـصـانـةـ لـبـقـائـهـ فيـ السـلـطـةـ،ـ أوـ تـجـنـدـ إـيرـانـ فيـ خـدـمـةـ مـشـرـوـعـهاـ المـذـهـبـيـ،ـ حتـىـ أـنـ الـأـسـدـ وـحـلـيـفـهـ يـعـمـلـانـ عـلـىـ إـفـشـالـ سـعـيـ روـسـياـ إـلـىـ إـعادـةـ الـاعـتـبارـ لـلـجـيـشـ،ـ كماـ أحـبـطـاـ مـيدـانـياـ جـهـدـهاـ لـتـحـقـيقـ هـدـنـةـ فيـ الغـوـطـةـ الشـرـقـيـةـ لـدـمـشـقـ بـيـنـ قـوـاتـ النـظـامـ وـ«ـالـجـيـشـ السـوـرـيـ الـحرـ»ـ.

علىـ قـاعـدـةـ تـفاـهمـاتـهـماـ غـيرـ المـعـلـنـةـ،ـ تـبـادـلـ أمـيرـكاـ وـرـوسـياـ الضـغـوطـ حـالـيـاـ تحتـ عـنـوانـ «ـمـصـيـرـ الـأـسـدـ»ـ،ـ وـتـوقـعـ كـلـ مـنـهـماـ أـنـ تـتـناـزلـ الـأـخـرـىـ أـوـلـاـ بـحـكـمـ الإـحـرـاجـ وـالـضـرـورةـ.

تـظـاهـرـ أمـيرـكاـ بـأنـهـ أـكـثـرـ مـسـؤـولـيـةـ حينـ يـقـولـ بـارـاكـ أـوـبـاماـ أـنـهـ لاـ يـتـصـوـرـ نـهـاـيـةـ لـلـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ «ـمـعـ بـقاءـ الـأـسـدـ فيـ السـلـطـةـ»ـ،ـ وـتـرـدـ روـسـياـ بـأـنـ الـمـسـؤـولـيـةـ الدـولـيـةـ تـنـحـصـرـ الـآنـ بـالـقـضـاءـ عـلـىـ تـنـظـيمـ «ـدـاعـشـ»ـ وـأـنـ هـذـهـ الـأـوـلـوـيـةـ تـتـطـلـبـ التـعاـونـ مـعـ الـأـسـدـ وـنـظـامـهـ.

كـانـتـ أمـيرـكاـ عـبـرـتـ أـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ عـنـ اـسـتـعـادـاـهـاـ لـقـبـولـ بـقاـءـ الـأـسـدـ فيـ بـدـايـةـ عـمـلـيـةـ اـنـتـقـالـيـةـ لـكـنـ وـفقـاـ لـشـروـطـ تـضـمـنـ قـبـولـهـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ وـتـسـهـيلـهـاـ،ـ وـخـاصـتـ نـقـاشـاـ مـعـ حـلـفـائـهـ لـإـقـنـاعـهـمـ بـأـنـ هـذـهـ هـيـ الصـيـغـةـ الـوحـيـدةـ لـحـلـ روـسـياـ عـلـىـ تـحـريـكـ مـوـقـفـهـ،ـ وـلـمـ يـوـافـقـ الـأـوـرـوـبـيـوـنـ إـلـاـ بـعـدـ اـشـتـادـ مـوجـاتـ الـهـجـرـةـ وـاجـتـيـاحـهـاـ بـلـدـانـهـمـ،ـ وـلـمـ يـعـطـ الـعـرـبـ وـالـأـتـرـاكـ سـوـىـ موـافـقـةـ مـشـروـطـةـ بـضـمـانـاتـ.ـ وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ تـقـبـلـتـ وـاـشـنـطـنـ التـدـخـلـ الـرـوـسـيـ،ـ أـوـلـاـ لـأـنـ الـحـاجـةـ مـسـتـ إـلـىـ تـدـخـلـ خـارـجـيـ قـادـرـ عـلـىـ التـأـثـيرـ فـيـ خـيـارـاتـ النـظـامـ،ـ لـأـنـ هـذـهـ الـوـسـيـلـةـ تـتـيـحـ اـخـتـيـارـ نـيـاتـ روـسـياـ وـقـدـرـاتـهـ،ـ وـالـأـهـمـ ثـالـثـاـ لـأـنـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ نـفـسـهـاـ اـسـتـبـعـدـتـ مـنـذـ الـبـدـايـةـ كـلـ اـحـتمـالـ لـلـتـدـخـلـ الـمـباـشـرـ فـيـ سـوـرـيـةـ...ـ

لـعـلـ اـخـتـيـارـ قـدـرـاتـ روـسـياـ بـلـغـ ذـرـوـتـهـ عـنـدـمـاـ اـسـتـدـعـيـ الـأـسـدـ إـلـىـ الـكـرـمـلـينـ،ـ وـبـعـدـ يـوـمـيـنـ جـاءـ سـيـرـغـيـ لـافـرـوـفـ إـلـىـ فـيـبـنـاـ إـلـبـلـاغـ نـظـرـائـهـ الـأـمـيرـكـيـ وـالـسـعـوـدـيـ وـالـتـرـكـيـ بـأـنـ لـدـىـ مـوـسـكـوـ مـعـطـيـاتـ جـديـدةـ تـصلـحـ لـإـطـلاقـ تـشـاـورـ دـوليـ وـوـضـعـ خـرـيـطةـ طـرـيـقـ لـحلـ الـأـزـمـةـ،ـ لـكـنـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـدـعـيـ إـيرـانـ،ـ فـكـانـ الـإـجـتمـاعـانـ الـمـوـسـعـانـ فـيـ فـيـبـنـاـ،ـ ثـمـ كـانـ «ـالـخـرـيـطةـ»ـ غـدـاءـ الـهـجـمـاتـ الـإـرـهـابـيـةـ فـيـ بـارـيسـ.

وـفـيـ مـقـابـلـ صـيـاغـةـ غـامـضـةـ أـصـرـتـ عـلـيـهـ روـسـياـ فـيـ ماـ يـتـعـلـقـ بـ«ـمـصـيـرـ الـأـسـدـ»ـ وـكـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ تـفـسـيرـ بـيـانـ «ـجـنـيـفـ 1ـ»ـ (ـرـغـمـ النـصـ عـلـىـ أـنـهـ رـكـيـزةـ الـحـلـ)ـ،ـ عـهـدـ إـلـىـ السـعـوـدـيـ عـقـدـ مـؤـتـمـرـ فـيـ الـرـيـاضـ لـتـشـكـيلـ وـفـدـ يـمـثـلـ كـلـ أـطـيـافـ الـمـعـارـضـةـ (ـمـعـ أـخـذـ الـآـرـاءـ الـأـمـيرـكـيـ وـالـرـوـسـيـ فـيـ الـاعـتـارـةـ)ـ لـيـتـوـلـيـ التـفاـوضـ مـعـ النـظـامـ،ـ وـتـلـبـ مـنـ الـأـرـدنـ إـجـرـاءـ مـشاـورـاتـ اـسـتـخـبـارـاتـيـةـ لـإـعـدـادـ قـائـمـةـ بـالـتـنـظـيمـاتـ الـإـرـهـابـيـةـ الـتـيـ سـتـحـنـنـ فـيـ بـأـنـهـاـ خـارـجـ الـعـمـلـيـةـ السـيـاسـيـةـ،ـ وـبـالـتـالـيـ سـتـعـتـبـرـهـاـ الـأـطـرـافـ الـدـولـيـةـ أـهـدـافـاـ فـيـ «ـالـحـرـبـ الشـاملـةـ»ـ الـمـرـتـقبـةـ عـلـىـ الـإـرـهـابـ.

لـمـ تـكـنـ هـذـهـ «ـالـخـرـيـطةـ»ـ وـالـتـرـتـيبـاتـ الـمـراـفـقـةـ لـهـاـ لـتـرـضـيـ إـيرـانـ،ـ حتـىـ لوـ كـانـ عـدـدـ مـنـ «ـعـلـائـهـاـ»ـ الـمـعـرـوـفـينـ مـرـشـحـينـ عـلـىـ لـوـائـحـ وـاـشـنـطـنـ وـمـوـسـكـوـ لـلـانـضـمـامـ إـلـىـ وـفـدـ الـمـعـارـضـةـ.

كـمـ أـنـ الدـخـولـ فـيـ فـرـزـ الـفـصـائـلـ الـمـقـاتـلـةـ لـلـتـميـزـ بـيـنـ الـإـرـهـابـيـ وـالـمـعـارـضـ مـنـ شـائـهـ أـنـ يـنـسـفـ اـسـتـراتـيـجـيـةـ الـأـسـدـ وـطـهـرـانـ الـتـيـ قـامـتـ أـسـاسـاـ عـلـىـ تـصـنـيفـ كـلـ مـنـ يـقـاتـلـهـمـ كـ«ـإـرـهـابـيـ»ـ أوـ «ـتـكـفـيرـيـ»ـ،ـ أـيـ أـنـهـمـ أـصـبـحـاـ فـيـ طـرـيـقـهـمـ إـلـىـ خـسـارـةـ «ـوـرـقةـ»ـ الـإـرـهـابـ الـتـيـ لـعـبـاـهـاـ طـوـيـلـاـ فـيـ مـقـارـعـةـ الـأـمـيرـكـيـنـ فـيـ إـدـارـةـ الـأـزـمـةـ السـوـرـيـةـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ إـيرـانـ اـسـتـخدـمـتـهـاـ تـوجـيـهـهـ تعـالـيـهـ نـورـيـ الـمـالـكـيـ معـ سـنـةـ الـعـرـاقـ.

أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ،ـ لـمـ يـكـنـ خـافـيـاـ أـنـ الـصـيـاغـةـ الـعـامـةـ لـ«ـالـخـرـيـطةـ»ـ بـنـيـتـ عـلـىـ مـفـهـومـ «ـالـانتـقـالـ»ـ بـالـحـكـمـ السـوـرـيـ مـنـ حـالـ إـلـىـ

حال، وهو أمر يرفضه الأسد تمسكاً بالسلطة ويرفضه الإيرانيون تشبثًا بمشروعهم.

كانت طهران أحاطت علمًا بما سمعه الأسد من فلاديمير بوتين، ثم استشعرت منذ مشاركتها في الاجتماع الأول في فيينا أن هذا الحشد من الدول يعرقل مناوراتها وينذر بمسار غير مريح لها، وهي الموجودة في عمق الأزمة التي يتداول بها الآخرون، بل هي التي صنعتها وأجّجت نارها وتنتظر قطف ثمارها. الواقع أن إيران اصطدمت بجوٍ سياسي سائد في فيينا، قوامه الإصرار على مواصلة العمل مع كثرة الخلافات على أكثر من جانب في الملف.

لذلك راحت تكثر النقد من خارج الاجتماع، بغية تغيير منهجه، سواء بلسان المرشد علي خامنئي أو عبر قادة في «الحرس الثوري»، تارة بالجهر بخيبة الأمل من روسيا وتارةً أخرى بمحاجمة «التدخلات الخارجية» في التسوية السياسية في سوريا، باعتبار أن تدخلها وروسيا داخليٌ وليس خارجيًّا. المهم أن طهران كانت ترغب في حدثٍ ما يمكن أن يقلب الطاولة.

هنا حصلت هجمات «داعش» في باريس... هي مصادفة أم تدبير؟ لا فرق، إذ كادت تطيح اجتماع فيينا أو تعزل إقرار «خريطة» الحل، لكن هذين التوقيعين خابا. وعندما أكدت موسكو أن ما أسقط الطائرة في سيناء كان عملاً إرهابياً استُخدمت الهجمات لإعادة الأزمة السورية إلى «المربع الإرهابي» الذي وضعها فيه الأسد. وهذا هو رئيس النظام نفسه يعلن في مقابلة تلفزيونية أنه «لا يمكن تحديد جدول زمني للمرحلة الانتقالية قبل إلحاق الهزيمة بالإرهاب»، وتبعه فوراً ممثل «الحرس» في الخارجية الإيرانية حسين أمير عبد اللهيان معتبراً أن الحل السياسي «لن يفضي إلى نتيجة من دون التصدي للإرهاب».

كان واضحًا أن الأسد استند إلى هجمات باريس ليخاطب الدول الغربية المشاركة في فيينا بمنحي ابترازي، مفاده أنه يرفض «الخريطة»، وأن الأولوية يجب أن تتجه إلى القضاء على الإرهاب. لم يكن لهجمات «داعش» أي مغزى آخر غير القتل والإجرام، لكن التنظيم قدّم خدمة أخرى للأسد ونظامه وكذلك لإيران.

لا شك في أن ثنائية الأسد - «داعش» باتت أقرب إلى «طالبان» - «القاعدة» منها إلى وضع نيجيريا إزاء «بوكو حرام».

الحياة اللندنية

المصادر: